صخب كلمات

د. بديع القشاعلة



شعر

صخب كلمات

صخب كلمات

قصائد نثرية

للدكتور بديع القشاعلة

Badeea75@gmail.com

https://www.facebook.com/BdyAlqshalt

0509316282

الطبعة الأولى

رهط – النقب فلسطين

2014 م

ألإهداء:

أهدي هذه المجموعة من القصائد النثرية إلى أسرتي وجميع

أصدقائي وأحبائي..

أهداء خاص لكل من قدم لي يد العون في الإصدار والمراجعة

والتشكيل: الشاعر صالح الزيادنه، الطالبة فاطمة ابو مديغم

من كلية «كي»، الاخ صالح ابو جعفر مدير المكتبة العامة

مدينة رهط وغيرهم..

تقديم

صخبُ كلماتٍ، هو ترنيماتٌ من الشِّعرِ المنثورِ لباكورة أعمالٍ شعريّة للكاتب د.بديع القشاعلة، يضمّ أكثر من ستين قصيدة ومقطوعة شعرية.

ورغم أن القصائد من الشعر المنثور إلا أنها تلتزم تفعيلةً أو تفعيلات مختلفة تضفي عليها موسقةَ الشعرِ ونغمته، ويتجلّى ذلك في معظم قصائد الديوان، كما نرى في القصيدة الأولى التي بعنوان صخب كلمات والتي يحمل الكتاب اسمها، ونجد أنها أقرب إلى شعر التفعيلة منها إلى الشعر المنثور:

"كلماتي كسُبْحَتي...

في نظمِ خرزاتِها...

أُلَوِّحُ بها في وجهِ جلّادي...

خلفَ قضبانِ الحديدْ...

وهديرُ أنفاسي..

كخريرِ ماءٍ كعصفِ الرعودْ".

وتستمر التفعيلات على ذلك النمط:

"دَمِي على ثوبِ سَجَّاني.. كعطرِ البنفسجَ يومَ عيد..

كعزفِ الريح.. ووقعِ مطرٍ شديد".

وهكذا حال معظم قصائد الديوان، تفعيلة حرّة تدور مرةً، وتعودُ مرةً أخرى، تغيّر ثوبها ومقاساتها، ولكنها تظلّ سلسلةً جميلةً مستساغة، تحمل عبق الشعر وأريج البيان. ومن خلال مطالعة الديوان يمكن أن نشعر بتأثر الكاتب بالقرآن الكريم، حيث يقتبسُ منه آياتٍ مختلفةً تندمج في ثنايا شعره بعفويةٍ ودون تكلُّفٍ أو تصنُّع، نتيجة لمعرفته بكتاب الله سبحانه وتلاوته له، وما يعلق في ذاكرة المؤمن من الآيات العطرة والذكر الحكيم، وفي قصيدة همس الحروف يقول:

أنا وهمٌ وخَيالْ..

كلماتٌ وخفقاتْ..

"سرابٌ يحسبُه الظمآنُ ماءْ".

وفي قصيدة طلاسم:

"وَقَرَأتْ آيةَ الكُرسِيّ..

وَقُلْ هُوَ اللّهُ أحَد..

فَخَافَ الشّبَحُ وَتَلاشَى..

وَكَأنْ لَفّهُ حَبْلٌ مِنْ مَسَد..

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق ..
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد".
وفي قصيدة الظِّلّ:
"وكأنّي أذكرُ هدهد سليمان..
وكأنّي أذكر فتاة سبأ".
وهناك اقتباساتٌ أخرى في عددٍ آخر من قصائد الديوان.
ولا شكّ أنّ الذي يقرأ الديوان بعمقٍ وتروٍّ يجد فيه جمالاً في الألفاظ والمعاني، وانتقاءً للكلمات الصادقة المعبّرة تفوح منها أحاسيسُ الشاعر وأنغامُ روحه الرقيقة.
وهناك صيغةٌ من صيغ جمع المؤنث السالم هي صيغة "فاعلات" تكررت كثيراً في الكتاب، ربما لأن الكاتب يستعذبها، أو يجد فيها نغمةً قريبة إلى قلبه، أو يرتاح لها أكثر من غيرها، ومهما كانت الأسباب فقد تكررت في العديد من قصائد الديوان.وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو المولود الرابع للمؤلف بعد كتابين في علم النفس مجال تخصص الكاتب وعمله، وكتاب آخر يضمّ مقالات وخواطر مختلفة.

ختاماً أتمنى للكاتب التقدّم والنجاح، وأن يظلّ بلبلاً يغرّد على دوحة الشعر، وأن نسمع سقسقة أنغامه بين الحين والآخر، والله أسأل أن يوفّقه ويوفق سائر المسلمين لما يحبّه ويرضاه، إنه على كلّ شيءٍ قدير.

رهط في: الأحد، 27 نيسان، 2014م.

الشاعر صالح الزيادنه

صخب كلمات

صَخَبُ كَلِمَات..

كلماتي كسُبْحَتي...

في نظمِ خرزاتِها...

أُلَوِّحُ بها في وجهِ جلاّدي...

خلفَ قضبانِ الحديدْ...

وهديرُ أنفاسي..

كخريرِ ماءٍ كعصفِ الرعودْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

كصلصلةِ القيودْ..

في ظلمةِ السّجْنِ العتيقْ..

في عتمةِ السردابِ..

وقتَ الصقيعِ وبردِ الجليدْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

كحُلُمٍ قديم..

في آخر الليل..

فزعتِ الأرواحُ فيه..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

دمي على ثوبِ سجّاني..

تناثرَ كالقَطْرِ..

كعطرِ البنفسج يومَ عيدْ..

كعزفِ ريحٍ..

ووقعِ مطرٍ شديدْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

خذْ جسدي رهينةً..

اصلبْني من خلافٍ.. اقتلعْ عيني..

وستبقى حروفي وكلماتي..

تقرعُ الطبولَ من جديدْ..

كلّ يوم..

كلّ ساعة..

عبرَ جدرانِ السُّجُونِ.. عبرَ الحدودْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

كخلخالِ عاشقةٍ..

كظِلٍّ بعيدْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

علقمٌ..

قولُ الحقيقةِ مُرّ..

مؤلمٌ ..

هو الكلامُ..

والحروفُ العاريات..

والمعاني النابيات..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

حنظلٌ..

هو السكونُ..

والشفاه الصامتات..

والعيونُ الشاخصات ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

أجمعُ أوراقي..

وأجمعُ حقيبةَ السفرْ ...

أنوي المغادرةَ والرحيل..

قبلَ ساعاتِ المطرْ..

وأبحثُ عن جوازِ سفري..

في كلِّ الأدراج ..

فأجد قُصَاصَةً من ورق..

مكتوبٌ فيها سطرْ...

فألبسُ نظارتي..

وأقرأ:

ممنوعٌ من السفرْ ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

أقوى من البنادقِ والرصاص..

هي الكلمات..

وحروفٌ توشّحتْ ثوبَ الاستشهاد..

وحناجرُ صدحتْ بألف صوت..

هَزَّتْ عروشَ الملوكِ..

وحطمتِ التاجَ المُرصَّعَ بالياقوتْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

كالزلزالِ هي الكلمات..

كبركانٍ تفجّرَ في وجهِ السلطان..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

انفطرتِ الأرضُ وانشقّتْ ..

ارتعبتْ لها القلوبُ وارتجتْ..

وشخصتْ لها الأبصار ..

خلّفتْ رمادْ..

وعيونٌ باكياتْ..

ونساءٌ حالماتْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

خفتَ الضوءُ،

واشتعلَ الحلمْ،

اخترقتني حتّى النُّخاع..

حتّى العظمْ..

تأبطتني ..

بلواحظَ كالسحرِ القديم،

كالمشعوذِ العظيمْ..

تقمّصتْني ببطءٍ مَقيتْ،

فجرتْ مجرى الدمْ،

باتتْ حيثُ أبيتْ..

* * *

صَخَبُ كَلِمَات..

كلُّ شيء أخذتُه مني..

مخدّتي..

ودفتري العتيقْ،

حتى القلمْ..

تأبطتني ..

جلستْ في حجري كظلّي،

كنفسي، منذُ القدمْ..

* * *

همس الحروف

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

قالتْ فَحَقَّتْ ..

أَيُّها الحَقُّ البَعيد ..

أَما آنَ لكَ أنْ تأتِيَ لِتستعيد ..

كلَّ الحَقائِق ..

وكلَّ الكَلِماتْ..

أما آنَ لكَ أنْ تَعُودْ..

لِتُنْشِدَ اللَّحْنَ الجَديدْ..

وتوزِّعَ البَسَماتْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

أيُّها الآفِلُ..

همساتُكَ تغازِلُني..

إحساسُكَ الدفينُ يَحْضُنُني..

ويأبى الرَّحيلْ..

يغازلُ فِيَّ لحظاتٍ من العشقِ الأصيل..

ويُشعلُ فيما تبقّى من الليل..

كلَّ الشُّموعِ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

ساعةَ الأصيلْ...

أُطْرِقُ أُصْغي لِوَقْعِ المَطَر ..

ولحنٍ جَميلْ..

فأرى فيكَ كلَّ النُّجوم..

وأجِدُ فيكَ ليلي الطّويلْ ..

يا مَجْرى القَدَرْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

أعشقُ فيكِ غروبَ الشمس ...

وحمرةَ المساءِ في وجنتَيْكَ...

ونظرةَ عينِك ساعةَ هَمْس...

أعشقُ فيك السُّكونْ..

حتّى تلكَ اللحظات..

مِنَ الشُّجُونْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

أريدكَ أنت..

أهوى فيكَ الجُنونْ..

كيفَ لي؟ أن أكونْ..

وقلبي ماتَ من سنينْ..

خلعتُه من صدري..

وما عادَ يكونْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

أنا وهمٌ وخَيالْ..

كلماتٌ وخفقاتْ..

سرابٌ يحسبُه الظمآنُ ماءْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

تراودُني شذراتُ الحُلُم البعيدْ..

ويحتويني الجُنونْ..

يأخذُني إلى الأفقِ المديدْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

حلمٌ قصيرٌ ينتهي

رحيلٌ بينَ الأقمارْ..

وأنتَ كما شئتَ..

عبقٌ يملأُ الدُّنيا..

نسمةٌ في ساعةِ الفجرِ الأصيلْ..

أنتَ الواقعُ..

وأنا الوهمُ الجميلْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

ساعاتٌ تكاتفتْ..

تهاتفتْ..

أَنْ مُرّي عليَّ مرَّ الكِرام..

اقتلي فِيَّ كلَّ الكلام..

لَمْلِمي حُروفي ..

فتعاونتْ..

ومن فوقِ سفح جبال..

تدلّتْ وتطاولتْ..

ضربتْ بحوافرِها الأرض..

مَلأَتِ الدُّنيا غُبار..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

تبخترتْ..

وتطلْعتْ..

ساعاتُ عمري!

وكلُّ الذكرياتْ ...

في أفقِ الزمان..

تبدّدتْ..

وتناثرتْ..

* * *

نَطَقَتْ فصَدَقَتْ !

عشرٌ مِنَ الأعوام..

توقّفتْ، وبقيتُ فيها..

لا تغادرُني ولا أغادرُها..

عشرٌ مِنَ الأعوام..

اقتطعتُها من عمري..

مكثتُ أُناغيها..

تداولُني وأداولُها..

عشرٌ مِنَ الأعوام..

خَطّتْ في دفتري، حروفَ سنيّها..

عشرٌ من الأعوام ..

ما زلتُ أُناديها..

* * *

معاني تراقصت..

مَشَتْ ومشيتُ..

سايرتُها..

وسايرتني..

تلكأتْ خُطاي فتسربلتُ..

تكلمتْ ..

تَبَسَّمَتْ..

ضَحِكَ الكَوْنُ مِنْ حَوْلِي..

تنهّدتْ ..

وتنفّستْ..

أومأتْ برأسِها..

فرفرفَ طيرٌ على لحنِ أنفاسِها يُغَنّي..

فتناثرتْ خصالُ شعرِها الليليّ..

توزعتْ على وجنتيها..

أومأتْ برأسِها..

فشعشعتْ حمرةٌ بلونِ الوردِ على خَدَّيْهَا..

واكتحلتْ رموشُهَا بنورِ الشَّمْسِ..

وارتمتْ ظلالُ الغروبِ على عَيْنَيْهَا ..

فارتسمتْ برهةٌ من وَلَهٍ وهيام..

أومأتْ برأسِها..

فتراقصتْ حروفُ كلماتِهَا من ثغرِهَا وتمكَّنَتْ..

لمحةٌ جميلةٌ لم تُحتسب فيها اللحظات..

تسارعتْ..

وانتهتْ..

تناثرتْ حدّ الجنونِ فاختفتْ ..

* * *

صدى الهمس..

مَا أَرْوَعك !

مَا أَجْمَلك !

كلام كلام..

مَا أَجْمَلك !

آهِ يَا سَلاَم..

مَا أَرْوَعك !

أنت الرُّمُوشُ فوقَ العُيُون..

مَا أَجْمَلك !

أنت القمرُ ليلةَ سُكُون..

غيبة شمس لِمَا تَكُون..

أنت البدرُ من غيرِ ظُنُون..

بينَ الأَنَام..

أنت القلبُ أنت الحنون...

مَا أَرْوَعك!

كُلّ الكلام..

مَا أَرْوَعك!

رَسْم الحُرُوف..

مَا أَرْوَعك!

وقتَ الخِصَام..

مَا أَرْوَعك!

مِسْكُ الخِتَام ..

* * *

طلاسم..

«النّفَّاثَات فِي العُقَد!»

أَصْوَاتٌ مِنْ عُمْقِ الظَّلام...

وَقَرْقَعَاتٌ فِي المَنَام..

وَشَبَحٌ يَحُومُ حَوْلِي كَالغَمَام...

عَنْ نَفْسِهَا تَحَدَّثَتْ..

أَشَارَتْ وَتَكَلَّمَتْ...

طَلاسِمُ تُشِعُّهَا النُّفُوس..

كَلامٌ وَكَلام..

وُجُوهٌ بَاهِتَةٌ بَيْنَ الأَنَام ..

رَأَتْ خَيالاً أَسْوَد..

كَاللّيْل..

جَاءَ لِيَأْخُذَهَا مَعَهُ..

إلَى حَيْثُ لا أَحَد..

تَبَهْنَسَتْ..

خَافَتْ وَانْكَمَشَتْ..

وَقَرَأتْ آيةَ الكُرسِيّ..

وَ «قُلْ هُوَ اللّهُ أحَد»..

فَخَافَ الشّبَحُ وَتَلاشَى..

وَكَأنْ لَفّهُ حَبْلٌ مِنْ مَسَد..

«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق» ..

وَ «مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَد»..

هَرَج وَمَرَج..

«النَّفَاثَات فِي العُقَد»..

* * *

لو اني اعلم!

لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ !

أَنَّكَ لَنْ تَبْقَى ..

لَهَجَرْتُكَ مُنْذُ زَمَان ..

وَلَكُنْتُ رَحَلْت ..

وَأَخَذْتُ رِسَالاتِي وَاخْتَفَيْت ..

لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ !

مَا كُنْتُ أُبَعْثِرُ أَوْرَاقِي ..

وَرِيشَتي وَدَوَاتِي ..

وَلَكُنْتُ غَادَرْت ..

لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ !

لَصَفَعْتُكَ بِقَبْضَتِي..

وَدَفَاتِرِي فِي وَجْهِكَ مَزَّقْت

لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ !

لَحَبَسْتُ الدَّمْعَ عَلَى مَا كَان..

وَلَمَا اشْتَكَيْت ..

لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ !

مَا كُنْتُ بَقَيْت ..

* * *

صديقي !

فَارَقَ الدُّنْيَا..

إِلَى جَنَّةِ الخُلْدِ مَثْوَاه..

بَكَتِ العُيُونُ وَقَلْبٌ لَنْ يَنْسَاه..

غَادَرَ الدُّنْيَا مُبَكِّراً..

يَا رَبُّ أَحْسِنْ مَثْوَاه..

زَمَنٌ غَرِيبٌ..

قَدْ يَمُرُّ يَوْمٌ فَلا نَلْقَاه..

لا يُصَدِّقُ العَقْلُ..

لَولا أَنْ العَيْنَ تَرَاه..

رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ..

صَدِيقَاً كَانَ فِي القَلْبِ غَلاه..

وَقَعَ الخَبَرُ عَلَيَّ..

كَجَبَلٍ عَلَى صَدْرِي حَطَّ مَرْسَاه...

بِالأَمْسِ كُنَّا صِغَارَاً نَلْعَبُ..

وَتَبْقَى الأَمَاكِنُ تَشْهَدُ ذِكْرَاه...

أَنْوَر! لَهُ مِنِّي سَلامٌ..

حَيْثُ هُنَاكَ.. حَيْثَ رَبِّي يَلْقَاه..

* * *

أشتكي !

إزْعَل !

بَعْرِف الزَّعَل مُو زِين...

وَقْتَ الحُزُن..

إزْعَل !

بَعْرِف الزَّعَل يَقْتُل..

* * *

إبْكِي !

خَلِّي الدَّمْع يسِيل..

يمْكِن تَشْعُر قَلْبَك ثَقِيل..

بَسْ تِقْدَر إنَّك تِزْعَل..

* * *

إشْتَكِي !

لِلْنَّجِم..

لِلْفَجْرِ العَلِيل..

كُثْر مَا تِقْدَر إشْتَكِي..

لِلْبَحْر..

لِلْرَّمْل..

لِلَّيْل..

يِمْكِن تصِير أَحْسَن..

يمْكِن تُصْبح جَمِيل..

* * *

أمنيتي !

يَا دُنْيَتي !

يَا أُمْنِيَّتي القَدِيمَة !

أَنْتِ الحَيَاة..

أَنْتِ المُنَاة..

لَمَّا أَشُوفَك..

وَرْدَة حَمْرَة أَنْتَقِي..

تَبْتَسِم، وَعَلَى خَدِّك..

بَسْمَة طِفْل تَلْتَقِي ..

* * *

يَا دُنْيَتي !

أَكْرَهُ فِيك أَنَّك عَنِيد..

عَقْلُكَ..

أَنْتَ يَا حَدِيد..

لَحْظَة حُزْن يَوْم عِيد..

تِزْعَل ..

تبْعِد ..

ترْجَع مِنْ جَدِيد..

خَلِّيني أبْعِد..

يمْكِن أَحْلَى مِنْ بَعِيد..

بَسْمَتك..

يمْكِن تزِيد..

كُلّ شِي مُو أَكِيد..

أُسْكُت.. أَحْكِي..

يَلاَّ عِيد..

كُلّ يُوم القِصَّة مِنْ جَدِيد..

* * *

يَا دُنْيَتِي!

النُّجُومُ العَالِيَات..

وَالغُصُونُ المْائِلات ..

وَالصَّبَايَا الحَالِمَات..

وَالوُرُودُ الزَّاهِرَات..

تَبَسَّمْنَ لَمَّا رَأَيْنَكِ تَبْتَسِمِين...

* * *

يَا دُنْيَتِي!

عَانِد قَدّ مَا تِقْدَر...

مَا أَجْمَل عَلَيْك العِنَاد..

قُول مَا تقُول ..

مَا أَقْدَر عَنَّك بُعَاد..

أَعْشَق فِيك رِمْشَك..

لَحْظ عَيْنَك يَا عِنَاد...

* * *

يَا دُنْيَتِي!

بَسْمتك يَوْم تَبْتَسِم ...

سَاعَة صُبْح تَرْتَسِم..

بَلْسَم وَرْد وزَهْر..

ضَحْكتك طِيب وعِطر..

خَلِّيك يَوْم نلْتَقِي..

عَيْنِي بعَيْنك تَبْتَسِم..

* * *

قهر!

أخ يا القهرْ..

صرخةُ أمّ!

صرخةُ طفلْ!

ليل وغيم ومطرْ..

حزن ودمع سال..

كثرُ النجم،

كبرُ البحر..

* * *

أخ يا القهرْ..

دنيا العربْ!

لحظة قدرْ..

صيحة زلم!

يوم وسنة وشهرْ..

طالَ الدهرْ..

* * *

أخ يا القهرْ..

أنّة شهيدْ!

جرح القلب ساعة سَحَرْ..

صرختْ مصرْ!

وشامُ العربْ..

يبكي الشجرْ..

أخ يا القهرْ..

* * *

مصر !

راياتٌ سودٌ بلونِ الغرابْ..

على أرضِ الكنانةِ فوقَ الترابْ..

وصوتُ الثكالى..

يضجُّ المكانُ..

وزغاريدُ النساءِ..

تزفُّ الشهيدْ..

وأنينُ النيلِ وكلُّ الربوعْ..

بلونِ الدماءْ..

وموتٌ أسودُ بلونِ الليلِ..

وصوتُ الحنين..

إلى ماضٍ بعيدْ..

مصرُ الحزينةُ..

ما مرتْ بعيدْ..

مصرُ الثقيلةُ ..

تلفعتْ سَوادْ..

دماءْ..

نساءْ..

حزنٌ ثقيلٌ ودمعٌ يسيلْ..

مصرُ الحبيبةُ

ما مرّتْ بعيدْ..

بكتِ النساءُ دمْ..

صاحَ الرجالُ

هَمْ !

هَمْ!

* * *

كلمات

لا تَتْرُكِيني..

فَأَنَا لا أَعْرِفُ صَدِيقاً سِوَاكِ

لا تَذَرِيني..

فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ لَمْ أَرَاكِ

لا تَهْجُرِيني..

فَقَلْبي يَخْفِقُ فِي هَوَاكِ

لا تَجْزَعِي..

كُلُّنَا نَجُولُ فِي سَمَاكِ

نَقْطَعُ الطَّرِيْقَ عَبْرَكِ

لا تَتَوَقَّفِي عَنِ المَجيءِ..

اسْتَرْسِلِي..

مُدِّي خُطَاكِ..

سِيرِي وَانْبَعِثِي..

وُرُودًا وَشَذَى نَدَاكِ..

نَسَمَاتٍ فِي الصَّبَاحَ

يُضِيءُ نَفْسِي سَنَاكِ..

لا تَتْرُكِينِي..

رُوحِي وَقَلَمِي فِدَاكِ..

* * *

مطر !

فِي بِلادِي قَصْفُ رَعْدٍ..

عَزْفُ رِيحٍ..

غَيثٌ فِي بِلادِي..

مَطَرٌ يَشْطُفُ الطَّرِيقَ..

ذِكْرَياتِي وَآهَاتِي..

مَطَرٌ يَمْسَحُ الوَاجِهَاتِ، وَشُبَّاكِي

نَسَمَاتٌ مِنَ الصَّقِيع..

تَخْنِقُ الضِّيَاءَ العَالِيَات..

طَيرٌ يُرَفْرِفُ، وَبُلْبُلٌ شَادِي..

وَرَقَةٌ خَضْرَاءُ تَطِيْرُ فِي السَّمَاء..

تَبْرِقُ الرُّعُودُ فِي الغُيُوم..

تُضِيءُ الطُّرُقَاتِ الضَّيِّقَات..

صَمْتٌ يَمْلأُ المَكَان..

يُهْجِعُ كُلَّ حَاكِي..

مَطَرٌ يَطْرُقُ الشُّبَاك..

وَيَرْسُمُ الفَراشَاتِ الرّاقِصَاتِ دُخَانِي..

شَايٌ وفِنْجَانِي..

فِي بِلادِي فِي بِلادِي..

يَشْطُفُ المَطَرُ السُّنين..

تَبْتَسِمُ العُيُونُ وَتُنَاغِي،

وَالألْحَانَ .. تُنْشِدُهَا الغَانِيَاتُ

فِي بِلادِي تَنَامُ الكَائِنَاتُ

* * *

صدى !

إكْذِبي !

إِدَّعِي كُلَّ الأَقْوَال !

إِخْدَعِيني..

وَزِّعِيني حُرُوفاً وَكَلِمَات،

قِيلاً وَقَال..

خَرْبِشِي فِي صَفْحَتِي وَمَزِّقِي دَفْتَرِي..

حَتّى ذَلِكَ الفِنْجَال،

الّذِي أَهْدَيْتُكِ إِيَّاهُ زَمَان..

إِكْسِرِيْهِ وَلَمْلِمِيهِ..

إِنْ شِئْتِ..

حُطِّيْهِ فِي شِوَال..

فَكَلِمَاتُكِ تُشْبِهُكِ..

حِيْن تَخْتَفِينَ فِي الآصَال..

إكْذِبِي!

فمَجْنُونَةٌ أَنْتِ..

وَفِيْكِ كُلُّ سِمَاتِ الجُنُون...

جُنُونُكِ وَاضِحٌ..

وُضُوحَ الشَّمْسِ فِي نَهَارِ صَيْفٍ فِي بِلادِي..

وَكُلُّ المَخَالِب فِيكِ..

وَكُلُّ النَّظَراتِ العَابِسَات فِيْكِ..

كُلَّ يَوْمِ يَزْدَادُ الجُنُونُ وَيَكْبَرُ فِيكِ..

أَمْقُتُ فِيْكِ ذَلِكَ حِيْناً ..

وَأَعْشَقُ فِيكِ ذَلِكَ أَحْيَان..

* * *

قمرية..

عُيُونُكِ جَمِيلَةٌ..

مَلامِحُكِ قَمَرِيَّةٌ ..

رَائِعَةٌ بَسْمَتُكِ ..

تَأْخُذُنِي إِلَى حَيْثُ تَنْعَدِمُ الجَاذِبِيَّةُ...

وَيُسَيطِرُ الفَرَحُ ..

وَرْدَةً بَنَفْسَجِيَّةً أَرْسُمُكِ..

فَتَجْتَمِعُ كُلُّ الأَلْوَانِ فِيْكِ..

تَركُضِينَ أَمَامِي وَتَلُوِّحِينَ بِيَدَيْكِ..

وَعُيُونِيَ الحَالِمَاتُ تَتْبَعُكِ..

وَخِصَالُ شَعْرِكِ..

تُدَاعِبُهَا النَّسَمَاتُ..

تَرْكُضِينَ وَتَضْحَكِينَ وَتُقَهْقِهِينَ...

وَصَدَى صَوْتكِ يُدَوِّي..

يَلِجُ فِي صَدْرِي..

وَيَمْسَحُ كُلَّ العَبَرَات ..

* * *

الأمل..

لَوْ كَانَ لِي!

لَلَمَسْتُ الغَيْمَ فِي السَّمَاء...

وَلَمَشَيْتُ عَلَى المْاء..

وَلَجَلَسْتُ أَشْرَبُ الشَّايَ فِي المْسَاء..

أُدَاعِبُ الفَرَاشَاتِ ..

وَأُطْعِمُ العَصَافِيرَ البَيْض..

* * *

لَوْ كَانَ لِي!

أَنْ أَغْزِلَ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ خُيُوطاً..

أَنْ أَرْمِي شِبَاكِي..

فِي عُمْقِ البَحْرِ..

أَنْ أَطْرُقَ البَابَ..

أَنْ أَسِيرَ فِي الطُّرُقِات...

* * *

لَوْ كَانَ لِي!

أَنْ أَعِيشَ!

أَنْ أَعْبُرَ الطَّرِيقَ دُونَ الْتِفَاتْ،

أَنْ أَبُوحَ!

أَنْ أَمْلأَ الدُّنْيَا صَيْحَاتْ،

أَنْ أَمُدَّ الخُطُوَاتْ!

أَنْ أَطْرُقَ البَابَ..

أَنْ أَتْرُكَ الذِّكْرَيَاتْ..

* * *

لَوْ كَانَ لِي !

أَنْ أَلْفِظَ كُلَّ يَوْمٍ كَلِمَاتْ ،

كَلِمَاتٍ وَابْتِسَامَاتْ ،

أَنْ أَجْمَعَ الوُرُود !

أَقْطُفَ أَزْهَارَ الحَيَاة ،

أَنْ أُقَبِّلَ الجَبِين !

أَنْ أَمْسَحَ الدُّمُوعَ السَّائِلاتْ ،

أَنْ أَرْسُمَ الوَجْهَ الجَمِيل !

أَنْ أَحْضُنَ الآهَاتْ..

* * *

لَوْ كَانَ لِي!

أَنْ أَتْرُكَ الوَجَع..

أَنْ أَشْطُفَ العُيُونَ البَاكِيَاتْ،

أَنْ أَجْتَازَ العَثَرَاتْ!

أَنْ أُغْمِضَ العُيُونَ السَّاهِرَاتْ،

أَنْ أَعِيش!

أَنْ أَعْبُرَ الطَّرِيقَ دُونَ الْتِفَاتْ

* * *

ضياء..

لا ولا تَكْفِي الضِّيَاء..

أَرقبُ الطريقَ ..

الضياءَ المنبعثةَ على استحياء...

ومشاعرِ استياء..

مِنْ كلِّ شَيء..

وَمِنْ نَفْسِي..

* * *

لا ولا تَكْفِي الضِّيَاء..

أَرقبُ الدَّربَ الطويلَ..

خدودَ الليلِ ووجنةَ السَّمَاء..

مشاعرَ الدَّهْشَةِ..

مِنْ كلِّ شَيء..

وَمِنْ نَفْسِي..

* * *

لا ولا تَكْفِي الضِّيَاء..

همساتٌ من شرودِ الذهنِ البغيض..

مِنْ كلِّ شَيء..

وَمِنْ نَفْسِي..

* * *

لا ولا تَكْفِي الضِّيَاء..

أحضنُ الحرفَ الجميل..

أحقرُ العابثين..

والبسمةَ الصفراء..

ولا يزالُ شعاعُ الضوءِ البعيد..

ينبعثُ على استحياء..

* * *

لا ولا تَكْفِي الضِّيَاء..

أيها الخدُّ الجميل ..

أعشقُ فيكَ قطراتِ الماء..

ولصفةَ الضوءِ البعيد..

* * *

لا ولا تَكْفِي الضِّيَاء..

تعتريني لفحاتٌ منَ الشَّكِّ المقيت..

مِنْ كلِّ شَيء..

وَمِنْ نَفْسِي..

* * *

احذري!

احذري!

أيتها اللحظاتُ المجنونةُ..

كلَّ الجنون،

المتأبطة كماً من اللامعقول،

تسيرين بخطواتِكِ السريعة تهرولين..

* * *

احذري!

تمهَّلي ولا تختالي،

لا أحد يحبُّ الخُيَلاء...

لا أحد يحبُّ المتكبِّرين..

السائرين في الطريقِ دونَ التفات..

* * *

احذري !

من كلِّ الغرور،

فالسماءُ بعيدةٌ والنجوم...

لن تُزَيِّني بها شَعْرَكِ الأسودَ الطَّوِيل..

تمادي إنْ أردتِ..

تسلَّقِي كُلَّ الحبالِ للوُصول...

إلى الشُّهُبِ العاليات..

فلنْ تلمسيها ..

ولنْ تأخُذِي منها لونَهَا الذَّهَبِيَّ..

* * *

احذري !

توقَّفِي !

أيتها اللحظات !

كُفِّي عَنِ العَوِيل !

أصمتي !

فالصَّمْتُ أجملُ الأفعال،

اهدأي..

وَهَدِّئِي من رَوْعِك،

الحياةُ أجملُ منْ أَنْ نَمُرَّ عليها مَرَّ الكِرَام..

* * *

احذري!

أيتها اللحظات..

سِيري كما شئتِ..

أخلطي كُلَّ الأوراق..

افْعَلِي هذا وذاك..

لن تكوني إلا سَاعَات..

* * *

احذري!

اترُكِي الليلَ الطويل..

خَلِّي بيني وبينَ الليل..

فالنجومُ تعشقُ كَلِمَاتِي

حَتَّى الحَرْف الأَصِيل..

* * *

احذري!

أيتها اللحظاتُ..

فأنا الحرفُ وأنا الكلمةُ ..

أنا النبضُ أنا الشريان،

وأنتِ السكونُ فوقَ الحَرْفِ..

أَنْتِ الصَّدَى والْمَعَان..

* * *

زخم..

مَا كُلُّ هَذا الزَّخَم ؟

حَقَائِقُ غَدَتْ عَدَم..

لَحَظاتُ نَدَم..

حَتَّى سَاعَاتُ الحُزْنِ العَمِيق..

لا تَمْنحُ النَّفْسَ الهُدوء..

وَلا تبعَثُ في القَلبِ السُّرور..

حَقَائِقُ غَدَتْ عَدَم..

اعْتَدِل !

قِفْ مكانَكَ وَارْتَفِع..

فالدُّخانُ الكَثيفُ لنْ يَحْنِيَكَ مُجَدَّداً..

عَنْ كُلِّ شَيءٍ امْتَنِع..

إلا الصُّمودَ في الحَيَاة..

أَعْلَمُ أنَّكَ مِنْ خَوضِ غِمارِ البَحْر

لَن تَخَف..

قِفْ فِي وَجْهِ المَوْجَ مَا اسْتَطَعْتَ..

قِفْ وَاعْتَدِل !

فَالدُّخانُ الكَثِيفُ لَنْ يُثْنِيَك مُجَدَّداً..

مَا عَادَ يَنْفَعُ النَّدَمْ..

زَغْرِدي بِصَوْتِكِ يَا أُمْ..

مَاتَ الشَّهيدُ وَابْتَسَمْ ..

فِي الشَّوَارِعِ سَالَ دَمْ..

دَمْ ..

دَمْ ..

حَقَائِقُ غَدَتْ عَدَم..

* * *

زمن..

أَيَّامٌ وَلَحَظَات..

كَعَصَا الضَّرِير..

تَفِرُّ مِنْ صَدْرِي..

كَمَاء..

كَصَوتِ خَرير..

زَمَنٌ كطَير..

يَطِير..

وَلَيالِي تَسِير ..

* * *

بيت قديم..

رَشَّاتُ مَطَرٍ تَطْرُقُ الشُّبَاك..

وَبَيتُ قَدِيمٌ أَصْبَحَ ذِكْرَيَات..

خَطَأٌ أَمْ صَوَاب؟

أنْ دَبَّ الحَرِيقُ فِي البَيْتِ القَدِيم..؟

وَإنْ تَشْتَعِلِ النَّسَمَات..؟

رَشَّاتُ مَطَرٍ تَقْرَعُ مَسْمَعِي..

وَيَعْلُو الدُّخانُ الأَسْوَدُ كَاللّيْل..

وَتَخْفُتُ الأَصْوَاتُ..

تَلْهَثُ الأَنْفَاسُ فِي الظَّلام..

وَيَمْتَلِئ البَيْتُ هَمَسَات..

اشْتَعَلَتِ النَّارُ فِي الجِدَار..

حُطَامٌ وَرَمَاد..

كُلُّ شَيءٍ بَات..

حَتَّى لُعْبَتِيَ القَدِيمَةُ التِي بِلا رُوح..

أَضْحَتْ رُفَات..

رَشَّاتُ مَطَرٍ تَطْرُقُ الشُّبَاك..

وَتَشْتَعِلُ الذِّكْرَيات

* * *

عنيد..

عَنيدٌ حَتَّى النُّخَاع..

أَنَا وَكُلّ أَمْلاكِي..

مَجْموعَةُ كَلِمَات..

حُرُوفٌ وَآهات..

سَاعَاتٌ مِنَ اللَّيلِ الطَّويل..

أَرْفُضُ العُيونَ البَاكِياتِ..

وَأَعْشَقُ الشِّفَاهَ البَاسِمات..

وَالنُّجومَ فِي آخَرِ اللَّيل..

وَالهَواءَ وَالنَّسَمات..

أَنا كَالكَلِمات...

فِي كُلِّ شَيءٍ أَوْ أَيِّ شَيء..

عَنيدٌ كَالطِّفْلِ الصَّغير..

أَرْفُضُ حَتَّى الاسْتِمَاع..

أَرْفُضُ الإصْغَاءَ حَتَّى لنَفْسِي..

لِعَقلِي..

لِقَلْبي ..

وَأُجِيدُ الإمْتِنَاع..

عَنِيدٌ حَتَّى النُّخَاع..

أُصْغِي لَلْطُيور..

أقْطِفُ كُلَّ يومٍ كَوْمَةً مِنَ الزُّهور..

أُخَبِّئُها بَيْنَ السُّطور..

شَأنِي غَريبٌ فِي كُلِّ السِّمَات..

عَنيدٌ حَتَّى النُّخَاع

أُخْفِي مَلامِحَ سَمْراءَ..

لَهثاتٍ وَكَلمات..

وأكرَهُ الآهَات

* * *

الظل..

حَتَّى فِي سَاعَاتِ اللَّيلِ الطَّويل..

حَيْثُ لا ظِلّ هُناك..

أَجِدُ ظِلَّك..

أَتْرُكُ فِيك جُنونِيَ الجَميل..

كَوَجْهِك أَنْت...

كَبَسْمَتك أَنْت...

كَلَيلٍ عَليل..

أَخَذْت مَعَك دَفْتَري..

دَواتي وَبَقَايا رِيشَتي...

وَصَبراً جَميل...

لأنِّي أَراك فِي كُلِّ المَرايَا..

يَا وَجْهَ البَحْر..

يَا عَينَ الأَصِيل..

وَكَأنِّي أَذْكُرُ هُدْهُدَ سُلَيمَان..

وَكَأنِّي أَذْكُرُ فَتَاةَ سَبأ..

فَأَتْرُكُ فِيك كُلَّ العِناد..

وَذِكْرَى قَصِيرة...

وَحِبْراً يَسِيل...

* * *

تكلمت..

أَنَا طِفْلَةٌ عَادِيَّةٌ..

تَبَسَّمَتْ، تَحَدَّثَتْ..

أَنَا ذِكْرَى جَمِيلَةٌ، كَشَفَتْ..

عَنْ سِنِّهَا وَتَكَلَّمَتْ

أَنَا وَجَعُ الزَّمَان..

وَالعُيُونُ البَاكِيَاتْ..

أَنَا عَبَقُ النِّسْيَان..

وَالْمَعَانِي الغَالِيَاتْ..

طِفْلَةٌ نَقِيَّةٌ..

أُعَانِقُ الصَّبَاحَ وَالنَّسَمَاتْ..

رُوحِي مَلَكِيَّةٌ..

أَنْشُدُ النُّجُومَ العَالِيَاتْ..

وَالعُيُونَ الصَّافِيَاتْ..

أَنَا الدَّهْرُ،

أَنَا القَهْرُ،

وَالوُرُودُ الشَّائِكَاتْ..

عُيُونِي عَسَلِيَّةٌ، وَالبَسَمَاتْ..

أَنَا طِفْلَةٌ عَادِيَّةٌ..

أَنَا اللَحْظَةُ، أَنَا السَّاعَاتْ..

وَخُصُلاَتُ شَعْرِي اللَيْلِيّ تَنَاثَرَتْ..

تَكَلَّمْتْ وَتَبَسَّمَتْ..

* * *

الحقيقة..

شَخَصَتِ العُيُون..

وَمِنْ غَدْرِ الزَّمَانِ اشْتَكَتْ،

مِنْ كُلِّ شَيءٍ حَوْلَهَا..

حَتَّى السَّاعَات تَوَقَّفَتْ،

وَسَاعَتي فِي يَدِي..

عَقَارِبُهَا القَدِيمَةُ تَعَطَّلَتْ،

وَالعُيُونُ البَاهِتَات..

فِي وِجْهِ الحَقِيقَةِ الدَّامِغَةِ،

بِكُلِّ الحَسَرَاتِ اسْتَسْلَمَتْ،

وَالوُجُوهُ العَابِسَات..

وَالشِّفَاهُ تَشَقَّقَتْ،

شَحُبَتْ أَلْوَانُهَا، وَبِالسَّوَادِ اكْتَسَتْ،

حَتَّى شَقَائِقُ النُّعْمَانِ، وَالوُرُود..

مَا بَقِيَتْ وَمَا نَمَتْ ،

إنَّ العُيُونَ البَاكِيَاتِ..

فِي أُفُقِ الزَّمَانِ تَسَمَّرَتْ

* * *

بربك!

بِرَبِّكَ مَنْ تَكُون؟

حُروفٌ وَكَلِمَات؟

مَاءٌ بَارِدٌ انْسَابَ عَلَى جَسَدٍ مَات؟

أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا فَاتَ فَات؟

بِرَبِّكَ مَنْ تَكُون؟

تُشِعُّ فِي النُّفوسِ التُّرَهات..

كُلّ يَومٍ أنْتَ فِي لَوْن..

وَصَوْتُكَ مُزْعِجٌ حَتَّى المَمَات..

وَالزَمَانُ يَسيرُ وَالسَّاعَات..

مِنْ بَيْنِ عِظَامِي وَأَنْفَاسِي..

بِرَبِّكَ مَنْ تَكُون؟

تَنْسَابُ كَالرِّيح..

كُلّ مَا فِيكَ أَمْسَى رُفات..

بِرَبِّكَ مَنْ تَكُون؟

فِي دَفْتَرِي حُروفِيَ، احِتَرَقَتْ..

جَفَّ قَلَمِي وَدَواتِي..

تَوَقَّفَتْ عِبَاراتِي وَاهْتَرَأتْ..

وَتَعَالى الدُّخَانُ الكَثِيفُ حَدَّ المَقْت..

وَقَفَتْ الأنْفَاسُ..

كَالرُّكَامِ الثَّقِيلِ أَصْبَحَتْ..

فَهَوَتْ المَعَانِي القَدِيمَةُ..

وَمِنْ لِسَانِي وَتَطَايَرَتْ..

وَفَوقَ العُقولِ وَالقُلوبِ تَوَقفَتْ..

وَتَعَالى الدُّخَانُ، وَاخْتَنَقَتْ..

* * *

طفلتي..

أَكْتُبُ كَلِمَاتِي..

وَدَمْعٌ فِي عَيْنِي سَال..

جَاءَتْنِي تُهَرْوِلُ وَهِيَ تُرَفْرِفُ بِيَدَيْهَا...

الجَمِيلَتَيْنِ الأَخَّاذَتَيْن ..

وَتُشِيحُ بِوَجْهِهَا الطُّفُولِيّ،

وَتَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً سَاحِرَةً ..

وَصَوْتُهَا الحَنُون..

وَضَحْكَتُهَا التِي تَخْطِفُ الأَبْصَار..

لا تَنْظُرُ إِلَيَّ بِعَيْنَيْهَا الرَّائِعَتَيْن،

بَلْ تَنْظُرُ إِلَيَّ بِرُوحِهَا وَوِجْدَانِهَا،

كَانَتْ رُوحُهَا تَتَقَمَّصُنِي ..

تُوْلَجُ فِيَّ حَتَّى حَدِّ العَظْمِ..

تُنَاغِينِي بِعَالَمِهَا الخَاصّ..

وَهِيَ تَلْمَحُنِي..

فَيَخْفِقُ قَلْبِي شَغَفًا بِهَا..

وَشَعْرُهَا الأَسْوَدُ اللَيْلِيّ القَصِير،

يَنْسَابُ فِي كَفِّي..

فَأُلَمْلِمُهُ وَاحْتَضِنُهُ وَأَشُمُّهُ،

وَبِأَنَامِلِهَا الصَّغِيرَةِ تَقُودُنِي ..

إِلَى حَيْثُ تَشَاء..

لَمْ أَسْمَعْ مِنْهَا قَطُّ كَلِمَةَ: «أَبِي»،

وَلَكِنِّي أَرَى فِي عَيْنَيْهَا كُلَّ الكَلِمَاتِ وَالْمَعَانِي..

كَمْ أَتُوقُ إِلَى عَالَمِهَا..

وَكَمْ أَرَدْتُ التَّنَفُّسَ مِنْ أَنْفَاسِهَا..

طِفْلَتِي الجَمِيلَة..

إبنتي..

* * *

خيال..

أَيَّتُهَا البريئة !

الجَمِيلَةُ الوَدِيعَةُ،

ذَاتُ الأَنْفِ الصَّغِيرِ الجَمِيل..

وَالعَيْنَيْنِ الرَّائِعَتِين،

الّتي تَمْلأُهَا البَرَاءَةُ،

مَلامِحُ الطُّفولَةِ فِي وَجْهِكِ تَقْتُلُني،

وَجَمَالُ المَرْأَةِ فِي وَجْنَتَيْكِ يَشُدُّنِي،

يَطِيرُ بِي إلَى حَيْثُ لا أدْرِي،

إلَى حَيْثُ تَتَعَانَقُ النُّجومُ وَيَعْشَقُ القَمَرُ السَّمَاء،

وَضِحْكَتُكِ تَجْعَلُني أَفْقِدُ الجَاذِبِيَّةَ وَأَطِير،

فَأَمْشِي فَوْقَ السَّحَاب،

حَنَانُكِ جَمِيلٌ يَقْطَعُ الأَنْفَاس..

تَأْخُذِينَنِي إلَى اللامَكَان،

حَيْثُ اللاحُدودَ وَالخَيَال..

نَطيرُ وَنَضْحَكُ ضَحِكَ طِفْلَيْنِ مَعًا،

وَنَعْدُوا وَتَسْبُقِيني،

وَعَلى شَاطِئِ البَحْرِ نَهِيم..

فَتُداعِبي نَسَماتِهِ وَتُدَاعِبُكِ الأَمْواجُ بِلُطْفٍ ..

وَتَرْقُصُ أَمْواجُ البَحْرِ طَرَبًا،

وَأَسْنَانُكِ البِيضُ الجمِيلَةُ،

وَلَهَثَاتُ أَنْفَاسِك،

وَتَناثُرُ قَطَراتِ المَاءِ عَلَى خَدِّكِ المُحْمَرِّ خَجَلًا،

يَرْسمُ صُورَةً وَرْدِيّة،

يَحْسِدُهَا غُروبُ الشَّمْس،

وتَحْسِدُها العَصَافِير..

ابْتَسِمِي وَاضْحَكِي..

وَدَاعِبِي الكَواكِبَ البَعِيدَة،

فَقَلْبُكِ خُلِقَ لِيَكونَ سَعِيدًا..

* * *

صلصلة..

تُخاصِمُ الشَّمسَ البَحْر..

وَتُعانِقُ الكَواكِبَ فِي الفَضَاء..

وَيَلْعَقُ لِسَانُ شُعَاعِ الفَجْرِ السَّحَاب،

المُتَنَاثِرَ في كُلّ مَكان..

وَتُشَعْشِعُ حُمْرَةُ الخَجَلِ عَلى صُدْغِ السَّمَاء..

فَتَرْتَسِمُ أَيْقُونَةٌ يَخْفِقُ لَها الجِنَان..

فَأُطْرِقُ أُصْغِي لِلَهْفَةٍ،

كَصَلْصَلةِ سَعَفِ النَّخِيلِ فِي الشِّتَاء،

تُداعِبُهَا النَّسَمات..

لُجَجٌ مُضْطَرِدٌ يَمْتَزِجُني..

يُبَعْثِرُ روحِي قَطَراتِ ندى..

كَأُهْزوجَةِ الفَرَحَ القَديم،

عَلى مِزْمَارٍ عَتيقٍ،

وَطَبْلٌ رَتيبٌ يُخَلْخِلُ العَظم،

يَرُجُّ الكَيان..

وَفِي سَاعَاتِ الفَجْر ..

تَتَدَحْرَجُ قَطَراتُ الطَّلِّ عَلى الأَفْنَان..

أَسْتَنْشِقُ رَائِحَةً عَطِرَةً فَوَّاحَةً،

مِنْ وَرْدَةِ جُورِيٍّ تَفَتَّحَتْ..

انْبَعَثَتْ عَبَقاً يَمْلأُ الآفاقَ، وَيَعجُّ فِي المَقَام..

تَنَاثَرَتْ مَعَ نَفَحاتِ الفَجْرِ الأَصيل،

شَاعَتْ طِيباً وآمال..

أَوْجَدَتْ لَحْظَةً مِنْ شَغَفٍ، تَسَرْبَلَتْنِي..

فَاعْتَرتْنِي صَبَابَة وَهِيَام ..

* * *

محصور..

اخْتَفي أَيُّتَها الحُدُود!

اقْترِبي أَيَّتُها البُلْدانُ!

كُونِي كَمَا تَشَائِينَ،

كُونِي هَوَاءً أَوْ ذَهَباً أَوْ رَصَاص..

كُونِي كَمَا يَحْلُو لَك..

وَلَكِنْ اغْرِبِي عَنِّي،

لا أُحِبُّ أَنْ أَرَاك..

وَدَعِي الأَرْوَاحَ تَلْتَقِي وَتَتَهَامَس،

دَعِيهَا تَتَجَوَّلُ فِي شَوَارِعِكِ الوَاسِعَةِ مَتَى شَاءَتْ..

بِدُون صُوَرٍ أَوْ أَشْكَال..

فَلا يَسْتَوْقِفُهَا أَحَد..

وَلا يَسْأَلُهَا أَحَد..

مِنْ أَيْنَ أَنْت؟

وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْت؟

وَأَيّ وَثِيقَةِ سَفَرٍ تَحْمِلِين؟

اقْتَرِبِي أَيَّتُهَا البُلْدَانُ وَتَعَانَقَيْ..

ضُمِّينِي بَيْنَك..

خَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَ تِلْكَ الرُّوح،

التي تَجْلِسُ هُنَاكَ مُتَوَشِّحَةً ثَوْبَهَا

الأَسْوَدَ الطَّوِيلَ وَغِطَاءَ رَأْسِهَا

ذَرِينِي وَالفَلاةِ وَحْدِي،

أُقَابِلُ ذَرَّاتِ الرَّمْلِ وَحْدِي..

أُوَاجِهُ لَفَحَاتِ الشَّمْسِ وَحْدِي..

اخْتَفِي أَيُّتَهَا الحُدُود..

وَحَتَّى لَوْ لَمْ تَخْتَفِي..

سَأَتَخَطَّاكِ بِقَلْبي وَرُوحِي،

سَأَجْتَازُكِ رُغْمَاً عَنَّك!

وَأَسِيرُ فِي شَوَارِعِك،

أَرْقُبُ المَارَّةَ وَكُلَّ الحَالِمِين..

فِي الشَّارِعِ الطَّوِيلِ،

اخْتَفي أَيُّتَهَا الحُدُود!

وَاقْتَرِبي أَيَّتُهَا البُلْدَان!

حَتَّى وَإِنْ كَانَ فِي الخَيَال..

* * *

أجب !

مَاذَا تُجِيبُ بِرَبِّكَ؟

يَوْمَ يَسْأَلِ السَّائِلُون...

يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُون..

يَوْمَ تَقُولُ جَهَنَّمُ هَلْ مِنْ مَزِيد ..

يَوْمَ يَرَاكَ الشَّهِيد..

قَتَلْتَهُ بِرَصَاصَةِ بُنْدُقِيَّةٍ اقْتَنَيْتَهَا..

مِنْ قُوتِ يَوْمِهِ..

فَأَبْكَيْتَ أَهْلَهُ وَنَاسَهُ يَوْمَ عِيد..

مَاذَا تُجِيبُ بِرَبِّكَ؟

وَالجُثَثُ مُلْقَاةٌ فِي كُلِّ الشَّوَارِعِ وَالحَنَايَا..

تَوَزَّعَتْ أَشْلاَءً يُلَمْلِمُهَا الكَفَن..

فَصَارَ كَفَنَاً بِلَوْنِ شَفَقِ السَّمَاء..

دِمَاءٌ تَوَزَّعَتْ فِي كُلِّ الزَّوَايَا..

وَدُمُوعُ اليَتَامَى تَشْهَدُ عَلَيْكَ يَوْمَ النِّدَاء..

مَاذَا تُجِيبُ بِرَبِّكَ؟

وَأَصْوَاتٌ وَصَرْخَاتٌ وَصَيْحَاتٌ..

صَمَمْتَ أُذْنَيْكَ عَنْهَا وَلَمْ تُبَالِ..

مَاذَا سَتَقُولُ؟

سَتَقُولُ: إنَّكَ كُنْتَ أَنْتَ الحَامِي؟

أم كُنْتَ تُكَفْكِفُ دَمْعَاً فِي مُقْلَةِ طِفْلٍ حَزِين؟

أَمْ أَنَّكَ كُنْتَ أَنْتَ الحَانِي؟

مَا جَوَابُك؟

مَا خِطَابُك؟

مَا مَفَادُك؟

مَاذَا تُجِيبُ بِرَبِّكَ؟

قَتَلْتَ أَلْفَاً مُؤَلَّفَةً وَأَكْثَر...

وَمَا زَالَ القَتِيلُ هُوَ الجَّانِي..

هَدَمْتَ بَيْتَاً وَصَوْمَعَةً وَمِئْذَنَةً..

وَرَبُّكَ يَشْهُدُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ الفَانِي..

أَتَحْسَبُ أَنَّكَ فَارِسٌ مغْوَارٌ ؟

أَمْ أَنَّكَ سَتُصْبِحُ يَوْمَاً إمْبَرَاطُورَاً ؟

أَمْ رُؤْيَا رَأَيْتَهَا فِي الْمَنَام؟

إِنَّكَ أَنْتَ هُوَ الْمُخَلِّصُ الهَادِي؟

مَاذَا تُجِيبُ بِرَبِّكَ؟

أَيُّهَا الجُنْدِيُّ الذِي خُنْتَ قَوْمَك..

أَجِبْ سُؤَالاً تَرَدَّد..

* * *

وجوه..

وُجوهٌ كَالنُّحاسِ..

كَادِحات..

كَالِحات..

فَاتِنات..

مُثيرات..

كَغَيمَةٍ فِي سَماءِ الشِّتاءِ ..

وَوُجوهٌ كَالنُّحاسِ..

كَأنَّها كَوكَبٌ دُرِّيٌ..

تَلمَعُ فِي الشَّمْسِ سَاعَةَ الظَّهيرَةِ..

انعَكسَت عَليهَا مَلامِحُ الزَّمان..

وَارْتَسَمَتْ فِيها آهَاتُ الأَيَّام ..

وَوُجوهٌ كَالنَّحاسِ..

قَاسِيات..

جَافِيات..

عَارِيات..

كَطَريقٍ طَويلٍ يَمُرُّ فِيهِ النَّاسُ..

مَرَّ الكِرامِ..

كَقَلْعَةٍ شَامِخَةٍ تَعَلَّقَتْ فِيهَا بَقَايا سِهَام..

وَوُجوهٌ كَالنُّحاسِ..

عَالِيات..

بَارِزَات..

كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ..

كَالأَيَّام..

كَلَحْظَة حُزْنٍ عِميق..

كَوَجَعِ الزَّمَان..

كَالدَّهْر..

وَوُجوهٌ كَالنُّحاسِ..

تَلْصِفُ حِيناً ..

وَتُعْتِمُ أَحْياناً..

تَشِعُّ مَعانٍ وَآمال..

كَوَرْدةٍ جُورِيَّةٍ فِي صُلْبِ الرَّبيعِ..

كَحَبَّةِ زَيتونٍ إكْتَنَزَتْ..

فَلَصَفَتْ..

كَغُصْنٍ يَافِعٍ تَحَرَّكَ وَمَال..

وَوُجوهٌ كَالنُّحاسِ..

وَدُموعٌ كَالمَطَر..

يَشْطِفُ الطَّريقَ الطَّويل..

كَموجَةٍ تَكَسَّرَتْ عَلى شَاطِئ البَحْر..

كَعَينٍ لَم تَنَمْ..

* * *

ذكرياتي..

ذِكْرياتِي..

أَسْتَلْقِي عَلَى ظَهْرِي فِي حقْلِ أَبِي...

أَشُم عَبَقَ العُشْبِ..

وَتَغْمُرُنِي رَائِحَةُ البَابونِج الأَصْفَرِ الجَميل...

وَتَعْتَريني ذِكْرَياتٌ ..

آتِيَةٌ مِنْ لُجَج المَاضِي البِعيدِ المُمْتَدِّ حَدَّ النِّسْيان..

* * *

ذِكرَياتِي..

هِيَ الأَيَّامُ تَكْتُبُنِي...

قَصِيدَةً شِعْرِيَّةً قَصِيرَةً..

هِيَ الأَيَّامُ تَرْسُمُنِي..

عَلَى الجُدْرانِ لَوْحَةً زَيتِيَّةً ..

هِيَ الأَيَّامُ تَخُطُّنِي..

حَرْفاً فَارِسيّاً مُلْتَوِياً..

* * *

ذِكرياتي..

حِينَها قُلتُ لها: إنّي أُحِبُّك..

أَذكُرُ نَظراتٍ مِنَ الدّهشةِ وَشيئاً مِن الحُزن...

اسْتكانَتْ وقالَتْ:

كَم أَنا أوَدّك !

ولكنِّي لا أُحِبُّك ...

سّأكونُ لَكَ شَيئًا آخَر ..

سَأكونُ صَديقَتَك..

حِينَها عَلمْتُ أَنِّي فَقدتُها إلى الأبَد ..

* * *

ذكرياتي..

أَنظُرُ في عَينيكَ الحَزينتين حِيناً...

وحيناً أَنظُرُ في أُفُقِ السّماء...

فيُغازِلُني ذُبولُ عَينَيك..

وتُخاطِبُني نَظرات..

قَالت لِلْزمان يَوماً:

لا أُطيقُ العَناء...

وتَجْلسين يَوماً ذاتَ مَساء...

بقُربِ نَافذةٍ تُطلُّ على دَربٍ طويل...

فيَنْعكِسُ شُعاعُ الشّمسِ على خَدّيك..

فيُلقي ظِلالاً رَائِعاً تحت جَفْنَيك..

وفي مُقلتيكِ الباردتين..

تَجَمّع كُلّ صقيعِ الشّتاء..

* * *

أقوى من الرصاص..

حَتّى الصّوتُ الخافِت الـمُتواني..

حتّى الهَمْس..

يعْلو فَوقَ صَوتِ الرّصاص..

حتّى الهَمْس..

يعْلو فَوق أَزيز الطّائِرات..

يُحطّمُ الدّبابات..

خَراطِيمُها الطّويله..

تلفِظ الشّر والأموات..

ويَطيرُ عُزرائيلُ في السّماء..

وتَبكِي الـمُدن والحَنايا،

وتَبقى العِزَة فَوقَ كُلّ شَيء..

وتَختَفي الفَراشات..

وتَملأُ طُيورُ الغُرابِ السّماء،

وَيهْرُب الأطْفالُ والنّساء..

صَخَبٌ وضَوضَاء..

الـمَدافِعُ وغُبارُ الدّبابات..

وَدُخانُ الحَرائِق،

وقَهقهةُ المجرِمين وَدقّ الطّبُول

وَصوتُ هَمسات..

تَعلُو فَوق صَفير الرّصاص،

لَم يبقَ مِنَ الأكْفانِ ما يكفي،

يُدفن الشهداء بلا أكفان..

لَم يبقَ مُتّسعٌ مِنْ مَكان،

تَبْكِي القُبورُ مِن شِدّة الزّحام،

لَم يبقَ مَن يَحفِرُ القُبور..

مَا أكثر النّساءَ الباكيات..

وَتَبقى العِزّة فوق كُلّ شَيء..

وَيبقَى الهَمْس..

أَعلى مِن صَوت الرّصاص..

والكَلمَةُ الحَقّ فَوق كُلّ الرّايات..

يَزولُ الظّلمُ وتَتَحَطّمُ الأصْنام..

إذا جاءَ نَصر اللّهِ والفَتح..

وتَتَفتّحُ شَقائِقُ النّعمان..

وَتبقَى الكَلماتُ حتّى الهَمسات..

تَعلو هَديرَ الحُروبِ وَأزيزَ الطّائرات..

* * *

صمت ..

سكونٌ يُخيِّم على الأَنفاس،

ويَأسرُ بقايا الذّكْرى...

وَلحظاتٌ مَنَ الصّمتِ المُقيت..

أمواجٌ مِنَ اللّيلِ تَعتَريني،

تَتَلَفَّعُني وتَهُزّني..

فَأنتفضُ واقفًا وارقبُ الطريقَ والأضْواء،

ونجوماً خَلفَ أسْتَارِ الغَمَام..

ارقبُ السّائرينَ الـمُترنّحين..

وَجُموعَ الـمُهرولين..

يُحدِّقون في الأفُقِ البعيد..

الصّامِتون والبَاكون..

سكونٌ يُخيِّم على الـمَكان،

وتَختَفي النّجومُ خلفَ الغَمَام،

وَتنطَفِئُ الأضواء..

ويَهْدأ اللّيلُ وتَهجعُ الأصْوات..

ويَخْتَفي الحَالـمون..

الحَامِلون على أكتافهم الزّمان..

الحالـمونَ بِغَد مُشرق..

الصّامِتون..

* * *

مرآة الزمان..

أُحدّقُ بِمرآةِ الزّمان..

فيَنتابُني الخَوف..

وشَيءٌ مِنَ التّوَهان..

أَرَى فيها مَلامِحي..

شَفَتَيّ وَعَينيّ الذّابلتين..

أُحدّقُ بِإمعان..

مَلامِحُ القَهْر..

فأُدرِكُ للمَرّة الأُولى..

أَنّها الأيّام..

تَسارعَتْ حَدّ الجُنون..

تَكاتَفتْ سُنون...

فتناثرتْ رَذاذا كَرذاذِ اليَمِّ..

كُلّ يوم..

كُلّ لَحظة..

فِي كُلّ آنٍ وَمكان..

أُحْصِي خُطوطَ وَجهي..

تَحمِلُ الذّكرياتِ وَالمعان..

تَحملُ ثِقْلَ اللّحظات..

* * *

جنون ..

أَشْبَاحٌ بِلا صُورَه..

بِلا طَعْمٍ ولا صَوْت...

تُحَرِّكُ فِي النّفْسِ كُلَّ الطَّاقَات..

وَتَغْرِسُ فِيها كُلَّ الشُّحْنَات..

تَدُورُ وَتَصْعَدُ فِي السَّمَاء..

لا تَقِفْ كَيْ تَسْتَكِين..

فَتَتَحرّكُ السّاكِنات..

مِن حَولِها وَتضْحُكُ الجَمادات..

وتَهْمِسُ إليها بِكَلِمَات..

فَتُكلّمُها الكَائِنات..

وَمَضَاتٌ مِن مَلامِحَ غَريبَة..

تُشعُّها فِي النّفس..

فَيُصْبِحُ الخَطأُ صَوَاب..

ويَتَهامَسُ مَنْ حَولَها ويضْحَكُ الضّاحِكونَ...

ويغْمِزُ الغمّازون...

فَتَنْكَمِشُ وتَسْتَحِي..

وتَنْزَوِي فِي مكانٍ مُظلِمٍ حالِكِ السّواد..

لا يراها فِيهِ إنْسٌ وَلا جَان..

ويقرأُ الشّيخُ سُورَةَ الفَاتِحَةِ والبَقرةِ وآلَ عمران..

وبسمِ اللهِ الرّحمن..

مَسٌّ مِنَ الجان،

سَحَرَةُ فرعَون ..

فيَبتسمُ الشّيخُ ويقول:

اخْتَفى وصُفِّد في الأغْلال..

ومَا زالَ الحَالُ هُو الحال..

الواقِعُ خَيال..

وتبْكِي العُيُون..

ويَضْحَك الضّاحِكون..

ويَغمزُ الغمّازون..

فَتدْوي صَرخات..

فَتضيعُ النّفسُ ويَضيع مَنْ حَولَها،

وتَهوي عَميقاً في مكان..

ويَبكي البَاكون...

ويَنْدَهشُ الـمُستَهزِئون..

وَيكثر الهَمّازون..

ويُعاقِبُ المُعاقِبون..

اقْتُلوا الشّيطانَ واقْتُلوا الشّر في العُيون..

وتَكْثُر التّساؤُلاتُ وتَتوقّف الضّحِكات..

جُنونٌ وترهاتٌ ..

تُشعّها النّفوس في كلّ مكان..

يَختلِطُ الآنُ والمكان..

وتَكثُر التّساؤُلات..

لَحْظةٌ مِنْ جُنون النّفْس..

لَحظةٌ مِن جُنون..

* * *

لحن رتيب..

لَحْنٌ رَتِيبٌ يَقْرَعُ مَسْمَعِي..

وَأَصْوَاتٌ آتِيةٌ مِنْ لُجَجَ الصَّمْتِ وَعُمْقِ السُّكُون..

ضَبَابٌ وَضَبَاب..

وَجَوٌّ يَمْلَؤُهُ سَحَاب..

وَزَخَّاتٌ مِنَ المَطَر..

مِنْ خَلْفِ زُجَاجَ نَافِذَتِي أَرْقُبُ الضِّيَاء،

وَبَيتًا قَدِيمًا كَان...

لَمْ يَعُدْ سِوَى ذِكْرَيات..

ذِكْرَياتُ مَاضٍ غَبَر..

عُيُونٌ بَاكِيَةٌ...

وَدُمُوعٌ جَارِيَةٌ..

وَجُفُونٌ كَالجَمْر..

تَرقُبَ النَّاسَ وَالطَّرِيق..

تَرْقُبُ الزَّائِرين..

المُصَافِحين..

الرَّائِحِين..

الغَادِين..

وَالمُعَزِّين..

وَلا تَزَالُ زَخَّاتُ المَطَر..

تَعبقُ المَكَان..

وَتُرْسِلَ الأَمَلَ الجَمِيل..

كَزَهْرَةٍ جَمِيْلَةٍ تَنْبُتُ فِي صَخْر..

* * *

..48

كَيْفَ لِي؟

أَنْ أَشْرَحَ لِصَديقِي مِنْ وَرَاءِ البِحَار..

أنِّي أَسْكُنُ فِي رَقْمَين ؟

مَجْمُوعُهُمَا يُسَاوِي اثْنَي عَشَر..

ثَمَانيةً وَأرْبَعِين..

وَكَيْفَ لِعَدَدَيْنِ أَنْ يَتَّسِعَا لآمَالِي وَتَطَلُّعَاتِي..

فَرْحَتِي..

أَحْلامِي..

أَحْزانِي..

وَآهَاتِي..

أَعِيشُ فِي لا وَطَن..

لا قريَة..

لا مَدِينَة..

لا هَوِيَّة..

* * *

حلم..

أَحْلُمُ حُلْمَاً قَصِيراً..

فِيهِ أَرَانِي أَكْتُبُ كَلِمَات..

حُرُوفَاً وَلَمَحَات..

أَخُطُّهَا لَحَظَاتٍ كَالْوَمَضَات..

فَتَرْتَسِمُ فِيهَا مَلامِحِي..

تَقَاطِيعُ وَجْهِي ..

سَوَادُ عَيْنَيّ..

وَظِلالٌ مَنَ الرَّهْبَةِ..

وَمَلامِحُ زَمَانٍ فَات..

وَزَمَانٍ آت..

تَبْتَسِمِين ..

وَمِنْ ثَغْرِكِ يَضُوعُ طِيب...

فَيَرْتَجِفُ الفُؤَادُ وَيَسْتَرِيب..

أُنَاغِيكِ..

فَعَبَثَاً لا مُجِيب...

* * *

بعمق..

جَلَسَ وَفِنْجَالَ القَهْوَةِ فِي يَدِه...

وَقَدْ تَشَكَّلَتْ حَوْلَ عَيْنَيهِ الرَّائِعَتَيْنِ ظِلالُ الشَّمْس..

فَتَجَسَّدَتْ لَحْظَةٌ مِنْ تَأَمُّلٍ عَمِيقٍ حَدَّ الصَّمْت..

* * *

القمر..

يَا وَجْهَ القَمْر!

أَيُّهَا الوَجْهُ السَّاكِنُ حَيْثُ هُنَاك!

أَجِبْنِي!

وَدَعِ السَّحَابَ الرَّاكِدَ فِيك..

يَنْبَعِثُ مَطَر..

يُرْوِي حَيْرَتِي وَحَنِينِي..

حَنِينٌ كَالصَّلْصَلَةِ فِي كَنَفِ الظَّلاَم..

رَغْبَةٌ تَجْتَاحُنِي..

أَرْغَبُ فِي أَنْ أُمَزِّقَ الثَّوْبَ القَدِيم،

وَأَنْ أَهْدِمَ البَيْتَ القَدِيم،

وَأَنْبَعِثُ فَجْراً جَدِيد..

قَلْباً مُتَمَرِّد..

يَعْشَقُ الشُّمُوخَ وَيَرْفُضُ السُّبَات..

وَأُطْرِقُ أُصْغِي لِصَوْتٍ رَتِيب..

صَوْتِ نَايٍ حَزِين..

فَيُغَنِّي العَاشِقُون..

وَيَرْقُصُ الحَالِمُون،

أُغْنِيَةَ المَاضِي المُمْتَد حَدَّ النِّسْيَان..

وَالمُشَتَّت حَدَّ الصِّفْر..

فَأُسَافِرُ حَيْثُ لا حُلْم..

وَلاَ خَيَال..

حَيْثُ لا غَضَبٌ وَلا جَزَع..

أَرْتَحِل..

وَأُنَاجِيكِ عَبْرَ الْمَطَر..

عَبْرَ مَوْجَ البَحْر..

بِضَعٌ مِنَ الدَّهْر..

يُدَاوِلُنِي..

يَتَلَفَّعُنِي الضَّجَر..

وَفِي كَفِّي تَجَمَّعَتْ..

يَنَابِيعٌ مِنَ القَهْر..

انْتَهَى رَحِيلِي بَيْنَ الأَقْمَار..

وَانْتَهَى السَّفَر،

وَقَارِبِي الْمُحَطَّم..

يَمْلأُ الدُّنْيَا كَدَر..

عَبْرَ طُولِ الْمَسَافَات..

أَشُمُّ رَائِحَةَ حَنِينِك..

أُنَاجِيك..

أُنَاغِيك..

امْسَحِي بِكَفِّكِ عِلَى رَأْسِي..

عَسَى أَنْ يُزَايِلَنِي الضَّجَر..

* * *

في الغروب..

سَاعَات الغُرُوب..

وَالشَّمْسُ تُفَارِقُ السَّمَاء..

بَعْدَ عِنَاقٍ طَوِيل..

وَنَسَمَاتٍ عَلِيلَةٍ تُدَاعِبُ الْمَكَان،

تَدَاعَتِ الْمَعَانَي الحُرُوف..

تُدَاوِي الرُّوح ..

وَتَرْحَلُ حِينَ مَسَاء،

حَيْثُ الفَرَاشَات..

حَيْثُ الأَهَازِيجُ العَتِيقَة..

وَكَانَ اللِّقَاء..

لِقَاء مَشَاعِرَ دُونَ مِيعَاد..

وَدُونَ الْتِقَاءِ الْعُيُون،

وَأَطْلَقَتْ لِنَفْسِهَا الحُرِّيَةَ دُونَ عَنَاء..

لِتَعِيشَ فِي حُلُمٍ جَمِيل..

اقْتَطَعَتْ مِنَ الزَّمَانِ بُرْهَةً وَجِيزَةً..

وَسَافَرَتْ بِها إِلَى اللامَعْقُول فِي خَفَاء..

كَانَ صَوْتُ الْمَشَاعِرِ أَقْوَى مِنْ كُلِّ شَيء..

انْسَابَتْ كَانْسِيَابِ الْمَاء،

كَانَتْ أَقْوَى مِنَ الوَاقِع..

الْتَقَتْ فِيهَا الكَلِمَاتُ وَالْهَمَسَات..

وَتَمَادَتْ إِلَى حَيْثُ اللامحُدُود..

كَانَتْ أَجْمَل كَلِمَات..

هَمَسَاتٌ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ وَالنَّاسُ نِيَام..

هَمَسَاتٌ تَمْحُو الجَاذِبِيَّةَ فَنَلْمَس الغَمَام،

وَتِلْكَ الغُيُوم البِيض..

هَوَاؤُهَا العَلِيل..

وَنَسَمَاتُ الفَجْرِ الأَصِيل..

هَمْسُ كَلِمَات..

تَمْزِجُهَا ابْتِسَامَات..

كَمْ صَادِقَة تِلْكَ الابْتِسَامَات..

التي لَمْ تَلْتَقِ، وَلَمْ تَلْتَقِ العُيُون..

جُنُونُ كَلِمَات ..

* * *

ستعلم ..

حِينَهَا..

سَتَعلَمُها الحَقِيقَة...

سَتَعْلَمُ ..

كَمْ أَنْتَ مَعْزُولٌ عَنِ النَّاسِ..

كَمْ وَحِيدًا تَعِيشُ بينَ الأَنَام..

كَمْ بَعِيدَة هِي البَسَمات ..

وَكَمْ طَويلَة هِيَ المَسَافَات ...

سَتَعْلَمُ ..

أَنَّكَ تَحْتَاجُهَا ... وَتَتُوقُ إِليهَا ..

وَكَمْ ثَمِينَة هِي اللَّحَظَات ..

* * *

أنت..

أَذْكُرُك أَنْت،

رَغْمَ القُيُود..

أُرِيدُك أَنْت،

رُغْمَ الحُدُود..

بِعَدّ أَوْراقِ الشَّجَر،

وَقَطَراتِ المَطَر..

فَأَنتِ القُيُود..

وَأَنْت الحُدود..

* * *

نفس المكان ..

ويبقَى كلُّ شيءٍ كَمَا كَان..

المكانُ هوَ المكان..

وأعمدةُ الشَّارِعِ كَمَا كَانَتْ..

وذلكَ الرَّصِيفُ القَدِيم..

الذي كنتُ أَكْسِرُ عَلَيْهِ حَبَّاتِ اللوزِ،

هوَ كَمَا كَان..

ولم يَتَغَيَّرْ..

وأنظرُ في مرآةِ أُمِّي القديمة..

التي أهداها إياها أَبِي لَمَّا وُلِدْتُ..

فأرَى تَغَيُّرَ وَجْهِي والزمان ..

ما عدتُ كما كنتُ..

وَصَغُرَتْ حَبَّةُ اللوزِ في يَدِي..

وما عدتُ أجلسُ على الرصيف..

الذي كان...

وما عدتُ أُمَرِّغُ وَجْهِي في التُّرَاب...

وأركُضُ خلفَ الدِّيدَان..

أَجْمَعُهَا للعصافيرِ في الصَّبَاح..

وأُلَمْلِمُ العيدان..

لأُشْعِلَ موقدي الصَّغِير..

ويبقى كُلُّ شَيءٍ كَمَا كَان..

ومرآةُ أُمِّي القديمة ما زَالَتْ..

مُعَلَّقَةً عَلَى الحَائِط ..

وَالمكانُ هوَ المكان..

* * *

أصغي..

أُطْرِقُ أُصْغِي لِتِلكَ المَعانِي ...

وَتِلْكَ الحُرُوفِ الرّاقِصَاتِ...

وأُنْصِتُ لِعَزْفِ الأَنْفَاسِ...

وَوَقْعِ اللّحَظَاتِ،

أَعْلَمُ أَنّك تُخْفِي عَنِّي البَسَمات

أَعْلَمُ أَنَّك تُخْفِي عني خفقات ...

أَعلَمُ أنَّك تُلَمْلِمُ أنْفَاسك ...

وَلَهَثَاتك..

وَتَضَعُهَا تَحْتَ مَخَدّتك..

فَلا يَراهَا سِوَاك..

أَعْلَمُ أنّك تَكْتُبُ اسْماً فِي دَفْتَرِك..

وَتَرْسُمُ قَلَبَين..

وَوَرْدَتَين ..

وَشَفَتَيْن..

* * *

أميرة قلبي..

عِنْدَمَا أَرَاك فِي الصّبَاح...

أَنْظُرُ إِليك...

فَأَرَى بَهْجَةَ الشَّمْسِ فِي خَدَّيْك...

وَتَبْتَسِمِينَ فَتَتَعَانَقُ رُموشُ عَيْنَيْك...

وَيَنْبَعِثُ سُرُورًا مِنْ وَجْنَتَيْك...

فَتُلَوّحِينَ بِيَدَيْك..

تَهْرُبِينَ مِنِّي..

فَتَغْمُرُكِ حُمْرَةُ الخَجَل...

فَأَشْعُرُ أَنِّي مَلِكٌ مُتَوَّجٌ..

وَأَنَّكِ أَمِيْرَةُ قَلْبي...

وَكُلّ الزُّهُورِ الفَاتِنَات تَقُولُ لَك...

لَبَيّك..

* * *

أعلم ..

أَعْلَمُ !

أنَّك تُخْفِي الحَقِيقَةَ عَنِّي..

وَتُخْفِي قَلْبَك عَنِّي..

وَتَأبَى الكَلام..

أَعْلَمُ !

أَنَّ مِنْ وَرَاءِ الكَلامِ كَلام...

فَأنِّي رَأَيْتُكَ فِي المَنَام..

تَحْمِلُ شَمْعةً وَقِنْديلاً..

وَبِثَوْبِك الأَبيضِ الجَميل تَسير...

تُشْعِل مِنْ حَولِكَ الظَّلام...

أَعْلَمُ !

أَنّ عَينكَ لَمْ تَلتَقِ عَينيَّ..

وَأَنِّي لا أَعْرِفُ مَن تَكُون..

أَوْ كَيفَ تَكُون..

غَيرَ أَنِّي أَطْرَحُ عَليكَ فِي اللَّيلِ السّلام..

أَعْلَمُ !

أَنَّكَ تُخْفِي هُموماً كَالجِبَال..

وَدَمعاً عَلى خَدّك سَال..

وَلَهَثَاتٍ وَتَنهُّداتٍ وَآهات..

أَعْلَمُ !

أَنَّك ستَأتِيني يَوْماً..

تَحْمِل فِي جَوْفِك مَلام..

وَتُلقِي فِي وَجهي رَسائِلي..

وَدَفاتِري وَلَحظاتٍ مِنَ العِشْقِ والهِيام..

لأنَّكَ كَالطَّيرِ مجْروحٌ جَناحُهُ فَلا يَطير..

ولأَنَّكَ تَعْشَقُ عشْقًا كَالأسَاطير..

وَلأَنَّك تَحْمِلُ فِي صَدْرِكَ قَلباً جَميل..

أَعْلَمُ !

أَعْلَمُ !

* * *

وهم ..

وَهْمٌ يُطَارِدُنِي..

وَحُلُمٌ يُسَافِرُ بِي..

إِلَى حَيْثُ لا مَكَان ..

وَحَيْثُ النِّسْيَان..

فِي طُرُقَاتِ اللَّيْلِ الطَّوِيل...

وَفِي ثَنَايَا الزَّمَان..

* * *

اسمعيني !

جَميلَتي !

إسْمَعِيني وَاعْلَمِي..

أَنِّي عَشِقْتُكِ مِنْ زَمَان...

وَأَنَّ حُبِّي فِي حَياتِي..

هُوَ أَنْتِ، يَكُونُ وَكَان..

قَلْبي يُخاصِمُني..

تُعَانِدُنِي الجوارِحُ..

لَمّا نَكُونُ فِي خَصَام...

إسْمَعيني وَاعْلَمِي..

رَعَشاتُ فُؤادِي..

هَمَسَاتُ وِجْدانِي..

صَمْتُ أَنْفَاسِي..

تَزْدادُ وَتَمْقُتُنِي..

لَمّا تَمُرّينَ عَنِّي مِنْ غَيرِ سَلام..

* * *

الباكون..

أيُّهَا البَاكونَ فَوقَ الأطْلال..

إِنْصَرِفُوا !

إبْتَعِدُوا !

إِخْتَفُوا !

صِيرُوا تُراب..

أَوْ كُونُوا ظِلال..

أَيُّهَا المُنْتَحِبُونَ عَلى الزَّمان..

صِرنَا عِظَام...

رُفاتُنَا تَوَزَّعَ غُباراً أَسود فِي الأُفُقِ..

نَحْوَ الغَمام..

أيُّهَا الحَالِمُون ..

حُلُمَ الماضِي البَعيدِ حَدَّ التَّوَهان..

بِهارونَ الرَّشيدِ وَجَوارِي القُصُور...

قُصورنَا تَهَدّمَت..

صَارَتْ رُكام..

وَكُلّ الأسَاطِير تَمْقُتُنِي..

وَكُلّ الفَوارِسِ الذِينَ كَانُوا..

وَكُلّ القُبور..

حَتَّى صَلاحُ الدِّينِ وَالفُرسان ...

أَضْحَوا عِظام...

وَصَرَخاتُ النِّساءِ البَاكِيات...

تَنْتَظِرُ مُعْتصِماً مُمْتَشقاً حُسام..

أَيُّها الحَالِمون...

أُنْفُضوا الغُبارَ منْ فَوقِ رُؤوسِكُم..

واعْلَموا أَنَّكمْ نِيام...

* * *

حلم..

فِي حُلمِنَا البَعِيد..

تَقَاسَمْنَا الإبْتِسَامَةَ وَالكَلِمَةَ واللّقْمَةَ،

حَتَّى أَنْفَاسُنَا تَقَاسَمْنَاهَا..

فِي حُلمِنَا البَعيد..

حَيْثُ الخَيالُ، وَأزْهَارُ النَّرْجِس..

تُعَانِقُ شَقَائِقَ النُّعْمَان،

حَيْثُ تَبْتَسِمُ النُّجوم..

وَتَرْقُصُ عَلَى نَغَماتِهَا العَصَافِيرُ الخُضْر،

وَالفَرَاشَات..

فِي حُلْمِنَا البَعيد..

تَتَعانَقُ الأَرْواحُ وَتَمْتَزِجُ القُلُوب..

تَرْقُبُ العُيونَ الرَّائِعَات..

فَيَبْتَسِمُ الثَّغْرُ الجَميلُ..

أُحَلِّقُ فَوْقَ الغُيومِ العَالِياتِ..

وَصَدى أَنْفاسها يَحْضُنُني..

فَأُمْسِكُها فَتَتَمَلَّصُ كَالهَواء،

وَتَرْكِضُ تَتَمايَلُ كَصَفْصَافَةٍ فِي الشِّتاء..

فِي حُلْمِنَا البَعِيد،

حَيْثُ الضِّياء..

وَحُمْرَةُ الخَجَل..

حُلُمُنَا كَلَيْلِنَا الطَّويل،

يَسْهَرُ فِيهِ القَمَر..

وَلا يُدْرِكُهُ البَصَر،

حَيْثَ تَمْتَزِجُ العَواطِفُ وَالمَطَر..

وَتَنْسَكِبُ الأَحَاسِيسُ كَمَوْجَ البَحْر..

حُلْمُنَا البَعِيد..

* * *

لأنك ..

لأَنَّكَ أَنْتَ الحَقِيقَةُ..

وَأَنْتَ الوَاقِعُ..

لأَنَّكَ أَنْتَ الكَوَاكِبُ..

فَوقَ الفَلاة..

وَأَنْتَ الدَّلِيل..

وَلَمْحَةُ فَجْرٍ ..

تُعَانِقُ لَيلاً طَويْل..

لأَنَّكَ أَنْتَ الحِكَايَةُ..

أَنْتَ الرِّوَايَةُ..

وَأَنْتَ الحَرْفُ والتَّشْكِيل..

لأَنَّكَ أَنْتَ النَّهَارُ..

وَأَنْتَ المَنارُ..

وَحُمْرَةُ الغُروبِ لحظ الأَصِيل..

لأَنَّكَ أَنْتَ الوُجُودُ..

أَنْتَ البِدَايَةُ..

أَنْتَ النِّهَايَةُ..

وَأَنْتَ الرُّوحُ وَالمَنَاة..

لأَنَّكَ نَبْضُ الحَيَاة..

وَنَبْضُ الفُؤاد..

وَعُمْرِيَ المَدِيد..

* * *

الرحيل..

رَحَلَ دُوْنَ اسْتِئْذَان..

حَتَّى الإلْتِفَاتَةَ مِنْهُ..

لَمْ يُعِرْنِي،

حَتَّى أَنَّهُ مَا قَالَ سَلام..

أَوْ كَلام..

حَمَل أَمْتِعَتَهُ ..

حَقَائِبَهُ..

أَوْرَاقَهُ..

دَفَاتِرَهُ..

وَاخْتَفَى فِي الظَّلام..

رُغْمَ هَذا،

مِنِّي إلَيْهِ سَلام...

* * *

يكفيني..

يَكْفِيني !

أَنَّكَ تنْظُرُ إِلَيَّ حِينَ تُفِيق..

يَكْفِيني !

أَنِّي أَنْظُرُ إِلَيكَ حِينَ تنَام..

يَكْفِيني !

أَنَّكَ حِينَ تَرَانِي تَبْتَسِمُ عَيْنَاك..

وَتَرْتَسِمُ شَفَتَاك..

يَكْفِيني !

أَنِّي حِينَ أَرَاكَ يَعْتَرِيني هِيَام..

* * *

اناديك ..

وَأنَادِي فِيكَ الرُّوحَ يَا عُمْرِي..

كَمَا الأيَّامُ تَنْدَهُني...

كَمَا السَّاعَات وَاللَّحَظَات وَالوَقَفَات...

تَصْرَخُ فِيّ...

تَبْعَثُ فِي نَفْسِي...

عِشْقَا وَحَنيناً...

وَيُعَانَقُني عَبَقُ زَمانٍ كُنْتَ فِيهِ...

بَسَمات وَهَمَسَات..

وَأَسْمَعُ لَهَثَاتِك عَلى بُعْدٍ...

كَالنَّسَمات...

تُنَادِيني...

تُنَاجِينِي..

تُنَاغِينِي..

كَمَا النَّبَضات..

* * * .

صمتي ..

صَمْتِي كَالدُّخَان!

كَالسَرابِ...

يَعْلُو كُلّ يَوم...

كَمَاءٍ ظَنَّهُ العَطْشان..

مِن مَدخَنَةٍ اشْتَعَلَت عَلى صُحُفِ الذِّكْرَيات...

فَارتسَمَ فَراشاتٍ وَوُرودٍ..

وعَصَافيرَ..

وَغِربان..

تَعالَت قُربَ القَمَر..

تُغَنِّي وَتَرقُصُ...

عَلى لَحْنِ الزَّمان...

* * *

عذراً !

عُذْراً يا سَيّدَتِي..

دَعيني !

عَفْواً يا سَيِّدَتِي..

أُتْرُكِيني !

يَا امْرَأَةً !

لا تَعشَقيني..

إنْسِيني...

اعْذُرِيني يَا سَيِّدَتِي !

فَلَسْتُ أَمْلِكُ قَلْبي..

شُجُونِي وَجُنونِي..

أَوْراقِي وَكَلِماتِي..

وَحَنِيني..

سَبَقَتْكِ امْرْأةٌ يا سَيِّدَتِي..

إِلى قَلْبي..

أَخَذَت دَفاتِري ..

كَلِمَاتِي وَأَشْعَارِي...

دَوَاتِي..

وَكُلّ المَعانِي...

أُعذُرِي الزَّمَانَ..

أُعْذُرِي المَكانَ..

وَافْقدِي الذَّاكِرَةَ...

أَوْ تَجَرَّعِي دَواءَ النِّسْيَان...

أُعْذُرِيني يَا سَيِّدَتِي !

وَكَأَنَّ كَانَ ما كَانَ...

سَأَرْحَلُ عَبْرَ الزَّمَان...

وَأُسَافِرُ بَعِيداً ..

أَقْطَعُ وِدْياناً ووديان..

أَحْمِلُ مَا تبَقَّى مِنْ وَرَقٍ ..

وَمَا تَبَقَّى مِنْ حِبْرٍ فِي دَوَاتِي...

لأَرْسمَ لَيلاً جَمِيل...

وَأَرْسمَ وَجْهَ القَمَرِ ..

* * *

عقل..

عَقْلٌ تَنَاثَرَ حَدَّ الجُنُون..

وَعَقْلٌ تَبَعْثَرَ صَوْبَ الأُفُق..

أُفُقٌ تَلَبَّدَ غَيْماً وَضَبَابْ..

وَصَرْخَاتٌ خَلَطَتْ كُلَّ صَوَاب..

وَصَدَى صَوْتٍ مَا زَال..

كَصَلْصَلَةٍ فِي عُمْقِ اللَّيْل...

تَرُجُّ الكَيَان..

وَلُجَجٌ كَمَوْجَ البَحْر..

يَصْخَبُ فِيَّ حَدَّ العَظْم..

أَنِينٌ وَشُجُون..

وَجَسَدٌ تَبَهْنَسَ حَدَّ الصَّمْت..

صَمْتٌ مَقِيت..

فَتَعَالَى هَمْسٌ..

هَمْسٌ يَعِجُّ الْمَكَان..

وَكَلِمَاتٌ تَهَاتَفَتْ..

كَلِمَاتٌ لَيْسَتْ كَالْكَلِمَات...

فَيَخْتَلِطُ اليَوْمَ وَأَمْس..

وَعَقْلٌ تَشَرَّدَ..

وَعَقْلٌ عَرْبَدَ..

وَعَقْلٌ يَهْمِسُ هَمْس..

وَعَقْلٌ تَفَرَّدَ..

وَعَقْلٌ تَمَرَّدَ..

وَعَقْلٌ أَصَابَهُ مَسّ..

* * *

صوتي..

كلماتي!

كَدَمعٍ فِي مُقْلَتي...

يَسِيل..

يَتَدَحْرَجُ عَلى خَدِّي...

كَتَدَحْرُجَ ضَبَابٍ عَلى رَاحَةِ الأَرْضِ..

كَلِمَاتِي!

كَحَشْرَجَةِ المَريضِ ..

كَعَلْقَمَةِ الدَّواء..

كَالضَّجَر..

كَأَنَّةِ طِفْلٍ ضَرير..

كَقَرْقَعاتٍ..

فِي ظُلْمَةِ اللَّيل...

كَحَفيفِ وَرَقِ الشَّجَر..

فِي فَصْلِ الخَريفِ..

كَصَوتِ النَّخِيل..

سَاعَةَ السَّحَر..

* * *

ناقوس الخطر..

دَقَّ نَاقُوسُ السَّفَرِ..

حِينَ سَاعاتِ السَّحَرِ..

أَيَّتُهَا المَفْتونَةُ!

تَناثَرِي صَوبَ الغَمَامَ..

تَناثَرِي فُتاتاً...

رَذاذَ مَاءٍ ...

عَبْرَ زَخَّاتِ المَطَرِ...

تَصَاعَدِي دُخاناً..

أَسْوَدَ كَاللَّيلِ..

فِي أُفُقِ السَّمَاءِ..

كَجُنونِي..

كَمِدْخَنَتِي..

كَذَرّاتِ رَمْلٍ تَلَفَّعَت أَمْواجَ البَحْرِ...

اشْتَعِلي حَطَباً وكوني كالجَمْرِ...

أَشْعِلِي اللَّيلَ وَدُقِّي نَاقُوسَ الخَطَرِ..

تَنَاثَري تَوَزَّعِي..

أَيَّاماً كالدَهْرِ....

وَرَفْرَفات طَيْرٍ يَعْوَجُّ عَلى القَمَرِ..

أيُّها الجُنونِ الماكِثُ فِيّ...

حَدّ المجُونِ..

تَكادُ أَنْفاسِي تَنْدَثِرُ..

أُعانُق نَبَضاتِ الزَّمان..

وَكَأنَّني لِقِسْمَينِ أَنْشَطِر..

وَيْحَ الحَالِمينَ..

دَقَّ نَاقُوسُ الخَطَرِ

* * *

أنظر إليك..

مَا زِلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ...

وَيَنْظُرُ إِلَيّ..

وَمَا زَالَ يُحَادِثُنِي..

وَأَنْفَاسُهُ الحَارَّةُ تُلامِسُني..

كَنَارٍ تُحْرِقُنِي..

كَشُعْلَةٍ فِي ظُلْمَةِ الزَّمَن..

وَنَبَرَاتُهُ الْمُتَلَفِّعَةُ حَنِينَ الأَيَّام ..

وَحَشْرَجَاتُ الزَّمَان..

تُخَاطِبُنِي..

حِينَهَا كَانَ يَبْتَسِم..

وَوَجْهُهُ الوَضِيءُ..

يَمْتَلِكُني..

بِوَجْنَتَيْهِ الوَرْدِيَّتَيْن..

يُرَاقِصُني..

وَتَحْتَ جَفْنَيْهِ تَرَبَّعَتْ مَلامِحُ الدَّهْرِ..

وَمَلامِحُ السَّفَرِ..

فِي مُقْلَتَيْهِ..

وَخُطُوطِ وَجْهِهِ وَشَفَتَيْهِ..

وَفِي لَمَحَاتِ عَيْنَيْهِ..

وَاقْتِرَانِ حَاجِبَيْهِ..

وَمَا زَالَ يُحَادِثُني..

وَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ إلَيْهِ..

* * *

لاحظ..

لاحِظْ..

أَنِّي صِرْتُ قَلِيلَ الكَلام..

لاحِظْ..

أَنِّي مَا عُدْتُ أَقُولُ فِيكَ مَلام..

لاحِظْ..

أَنَّ مَا وَرَاءَ الكَلامِ كَلام..

لاحِظْ..

أَنَّ حُرُوفِي سَارَتْ صَوْبَ الغَمَام..

فَلا أُمْسِكُهَا..

أُبْصِرُهَا كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاء..

فَلا أُدْرِكُهَا..

لاحِظْ..

أَنِّي أَكْرَهُ فِيكَ الخِصَام..

* * *

لجج..

لَجَجٌ..

صَخَبٌ..

يُولجُ فيَّ..

يَمْقُتني..

يقْتُل الصَمتَ ..

يوَزعني بَقَايَا زَمَان..

يعتَصِرُ الرُوحَ من الروح..

ويُحَاصِرُ بَقَايَا الأنفَاس..

أستَنشِقُ النَفسَ الأَخير..

أعشَقُ الحَياة..

وأمقُتُ المَوت..

وأتُوه عَبرَ المكان..

فيُخالِجُني شُعورٌ غريب..

غضبٌ وأحزان..

وتَوَهَان..

أبحثُ عن مَخرَجٍ جديد..

أتنفسُ عَبرَه هَوَاء..

لأَحيَا من جديد..

فلا أَجدُ المكان..

وتتشابَهُ عليَّ المخارج..

ويَعتَريني الصَمْتُ المَدِيد..

يَخنُقُني..

يُشَتِتُ في نَفْسِي الأمان..

صَفَعَاتٌ من العَدَم..

تَرُجُ الكَيان..

تَغْتَالُني..

فيُبطِيءُ نَبْضِي من جَدِيد..

وأَبْحَثُ من جَدِيد..

عن ثقبِ إبْرةٍ..

أَتَنَفَسُ عَبْرَهُ هواء..

كَي أَعَيش..

كَي أَرَى المَسَاء..

كَي أَعُود من جَدِيد..

* * *

كنا ..

كُنَّا..
كُنَّا نَرْكُضُ فِي الخَلاء..
وَكَانَتْ البُيُوتُ قَلِيلَةً..
وَالأَسْمَاءُ غَيْرَ الأَسْمَاء ..
وَالأَمَاكِنُ مَهْجُورَةً..
وَكَانَتْ قَرْيَتي صَغِيرَةً..
وَكُنَّا نَعْدُو كَالثَّعَالِبِ..
نُسَابِقُ الرِّيَاحَ فِي السُّهُولِ..
وَالفَرَاشَاتِ فِي الحُقُولِ..
حُقُولٌ صَفْرَاءُ مِنَ القَمْحَ العَتِيقِ،
يَمْلأُهَا التُّرَابُ..
وَبِأَقْدَامِنَا الحَافِيَاتِ..
كُنَّا نَطِيرُ مُسْرِعِينَ..
نُحَلِّقُ فِي الهَوَاء..

فَلا نُلامِسُ التُّرَابَ..
وَحِينَ الغُرُوبِ...
كَانَتْ أُمِّي تَكْنِسُ الفَنَاء ..
وَيَأْتِي أَبِي حَامِلاً وِعَاء..
فِيهِ تِينٌ وَأَعْنَابٌ..
وَكُنَّا نَسْمَعُ حَدِيثَ الكِبَارِ..
وَهَمْسَ الصَّبَايَا وَالنِّسَاء،
وَكَانَتْ قَرْيَتُنَا صَغِيرَةً ..
قَلِيلَةَ البُيُوتِ،
يَعْلُو فِيهَا مِنْ بَعِيدٍ نُبَاحُ الكِلابِ...
وَصِيَاحُ الدُّيُوكِ...
وَثُغَاءُ الخِرَافِ،
وَابْتِسَامَةُ أُمِّي الجَمِيلَةُ..
وَشَالُهَا الأَبْيَضُ الطَّوِيلُ..

يُعَانِقُ الْمَسَاء...

وَسِنُّهَا الذَّهَبِيُّ يَلْصِفُ مِنْ بَعِيدٍ..

وَفِي سَاعَاتِ الْمَسَاء...

وَالنُّجُومُ ضِيَاء..

نَسْمَعُ حِكَايَةَ شَجَرَةِ «الغُولَةِ»..

شَجَرَة صَمَّاء..

مَاتَ مَنْ مَاتَ فَدَفَنُوهُ تَحْتَهَا..

فَتَرْتَعِدُ أَوْصَالُنَا..

فَتَهّبُ النَّسَمَاتُ البَارِدَةُ..

تَمْلأُ الأَجْوَاء..

وَهَمَسَاتٌ آتِيَةٌ مِنْ لُجَجَ الصَّمْتِ،

وَهُدُوءٌ ثَقِيلٌ يَرْبِضُ عَلَى الأَنْفَاسِ..

وَيَدُقُّ القَلْبُ ..

وَتَرْتَعِشُ العُيُونُ وَالأَحْشَاءُ..

نَرْقُبُ شَجَرَةَ "الغُولَةِ" فِي الْمَسَاء..

فَنَرَاهَا تَمْتَدُّ إلى السَّمَاء..

وَتَبْرُزُ أَذْرُعُهَا فَتُعَانِقُ النُّجُومَ..

فِي الفَضَاء..

وَنَرَى خُرْطُومَهَا يَتَدَلَّى إِلى الأَرْضِ،

فَنَنْكَمِشُ حَدَّ الاخْتِفَاء...

وَنَأْكُلُ أَظْفَارَنَا بِأَسْنَانِنَا..

وَتَقْشَعِرُّ الأَبْدَانُ..

فَتُؤْنِسُنَا ضَحْكَةُ أَبِي..

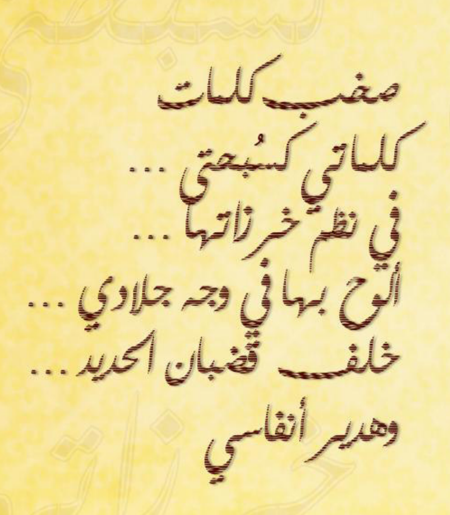
وَهَمْسَةُ أُمِّي...

فَنَنَامُ إِلى الصَّبَاحَ..

* * *

تم بحمد الله




صخب كلمات
كلماتي كسُبحتي ...
في نظم خرزاتها ...
ألوح بها في وجه جلادي ...
خلف قضبان الحديد ...
وهدير أنفاسي

